في اداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة
كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى ولا تكتموا الشهادة يعني
اذا دعيتم الى اقامتها وادائها وذلك لان الشاهد متى امتنع من اقامة الشهادة
وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهى عن كتمان الشهادة
وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي فاجر قلبه
والآثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال من الدواعي والصوارف
انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اضيف الاثم الى القلب وقيل ما اوعد
الله على شيء كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال فانه آثم قلبه
واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك والله بما تعملون عليم يعني من بيان
الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لله ما في السموات وما في الارض
ملكا واهلها له عبيد وهو مالكهم وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
وهذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن
من دفعها فالمؤاخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا
بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه على
ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثاني
ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله
ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت وقال قوم هذه الآية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال
بعضهم هي متصلة بالآية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى
الآية وان تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اي
تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان
واردا عقيب قضية ولا يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت
فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى وان تبدوا اي تظهروا ما في
انفسكم يعني من ولاية الكفار او تخفوه ولا تظهروه يحاسبكم به الله
وذهب اكثر العلماء الى ان الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة

بالآية

١٩٨

بالآية التي بعدها ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا يا رسول الله كلفنا
من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزلت
عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون
ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها
السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا
سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى
فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته
على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر
لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم
وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به
او يتكلموا وفي رواية ما وسوست به صدورها وقال قوم ان الآية غير منسوخة
لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار وقول الله تعالى يحاسبكم
به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تاويلها فقال قوم قد اثبت
ان الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا
او اعلنه من حركة جارحة او هم قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه
عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى
يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان
معاقبتهم على ما اخفوه اخف مما لم يعملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا من النوائب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)